السيميائيات وعلم الأفكار

مقولة العلامة–الفكرة بين أصول التفريع الثلاثي ومبادئ الانفتاح

عبد القادر فهيم شيباني*
E.mail: Otaha80@gmail.com

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية الأساسية

السيميائيات وعلم الأفكار

مقولة العلامة-الفكرة بين أصول التفريع الثلاثي ومبادئ الانفتاح

عبد القادر فهيم شيباني

الملخص:

يعد علم الأفكار (La phanéroscopie)، بمثابة المرجعية العلمية للأرغانون السيميائي الجديد، الذي يتشيع له شارل سندرس بورس، هذا العلم يستجيب من حيث المبدأ لقواعد البروتوكول الرياضي، ويخضع لفلسفة مراتب الوجود؛ حيث تأخذ العلامة–الفكرة وضع المفهوم المتعالي. وعليه وجدنا سيميائيات بورس، ميالة إلى ابتعاث قواعد النشوء والتولد والتعالق، بين الفانيرونات (الأفكار الدنيا)، حيث يمكن لهذا المفهوم، أن يبين صوريا عن عوالم أنواع العلامات وأنماطها، داخل شبكة محكمة علائقيا، أضحت اليوم، من بين أهم الأجهزة المفاهيمية في أدبيات المقاربات التي يصطنعها تحليل الخطاب.

مصطلحات أساسية: علم الأفكار/ العلامة/الفانيرون/الدلالات المفتوحة/السيميائيات/نظرية المقولات.

Semiotics and Phaneroscopy

Dr. Abdelkader Fehim Chibani

Abstract:

Phaneroscopy is considered to be a scientific reference to the new semiotic Organon to which Charles Sanders Peirce belong, this science corresponds in principle to the rules of the sport protocol and is subject to the philosophy of existence' ranks and its categories where the sign-idea takes the transcendental status of the concept. Accordingly, we found that Peirce's semiotics tend to expand the rules of evolution, regeneration and correlation between the phanerons where the concept is to reveal the different types of signs and their patterns within a relational tight network that has today become one of the most significant conceptual devices in the literature approaches synthesized by discourse analysis.

Keywords: Phaneroscopy/ semiotic/ categories theory/phaneron/ sign-idea/semiosis.

توطئة:

تبنت سيميائيات **شارلز سندرس بورس** (Ch S. Peirce) مقولة العلامة-الفكرة، وسعت في مقام أول إلى بناء نمطية أنموذجية لهذه المقولة، انطلاقا من المبادئ الفكروسكوبية. يرتبط جوهر العلامة، في ضوء هذا التصور، بمراتب الوجود، فحيث تحدث النقلة الوجودية للفكرة يحصل التبلور والاكتمال داخل حدود البرتوكول الرياضي. إذ تخضع أولانية الأمثول، وثانيانية الموضوع، وثالثانية المؤول تباعا لسلم التراتب الدوري(الأول، والثاني، فالثالث).

يشغل التراتب دورا مهما في تأسيس دينامية الدلالات المفتوحة، فمن خلاله وجدت لانهائية الدلالات طريقها إلى العقلنة. والواقع أن أصول التراتب والتعالق، هي التي تكفل إعادة إنتاج الموضوع؛ طارحة مرجعيته في سوق تداول العلامات، وذلك على نحو يقود إلى تأسيس سيرورة خاصة لحقل المؤول؛ تنشد غائية إقامة المعنى. تدعم فرضية الاحتكاك الدلالي، فكرة إقصاء بورس لدور الإنسان في بلورة العلامة، بدعوى أن الإنسان هو بدوره علامة. بيد أن المتتبع لهذا الطرح، يجد أن بورس قد تحاشى تحديد نوعية هذه العلامة وطبيعتها. قد يتناقض التفسير السلوكي للدلالات المفتوحة مع مبدأ اللانهائية، في الوقت الذي تنتظم فيه الدلالات الإدراكية للإنسان، بوصفها نواة فعلية للدلالات المفتوحة. إن الإنسان هو علامة بإدراكاته وليس بسلوكاته.

حظي البهاء النسقي للبنية العلائقية، في تفريعات **بورس**، بالقبول النظري والإجرائي عل حد سواء.ذلك أن مفهوم المطابقات قد ألغى، مبدئيا، وهم تنميط العلامات بصورة مطلقة، وهو ما أسهم في تحويل شبكة العلامات إلى شبكة مفتوحة؛ تقوم مقام الآليات الإجرائية المعتمدة في تفكيك النصوص وتحليلها.

1 - المقولات الثلاث ودينامية الدلالات المفتوحة:

1.1. أنموذجية الفكرة- العلامة ومقولاتها [1] :

يمكننا أن نرصد ملامح العموم في سيميائيات **شارلز سندرس بورس** انطلاقا من زوايا ثلاث؛ كونها نظرية تستوفي أبعاد المعرفة السيميائية التركيبية،والدلالية، والتداولية عبر استكمالها للمكونات الجوهرية للعلامة (الأمثول ،الموضوع، المؤول) دفعة واحدة من دون إرجاء أي ركن منها؛ ثم كونها نظرية تستهدف موضوعات متغايرة (حسية، ثقافية ، عملية، فكرية وعقلية) وتطمح إلى بناء مشروع فلسفي؛ وأخيرا كونها وهو المهم- نظرية تسعى إلى تعميم مفهوم العلامة[2]. وذلك انطلاقا من رؤية منطقية صورية متعالية.

إذ يرى **بورس** أن العلامات بنوعياتها وكيفياتها المتغايرة (كلمة، قضية، خطاب، برهان، إشارة، قطعة موسيقية...الخ) لا تخرج عن حد العلامة البسيطة أو المركبة، وأيا كانت صورة التعالق التي تنسجها العلامات البسيطة فيما بينها بالغة التعقيد فإن النسق الذي تبلوره لا يعدو إلا أن يكون علامة. حيث تجد هذه المصادرة التعميمية أساسا لها في تلك البديهة التي تشترط في تأويل أية علامة لأخرى تزاوجها مع علامة ثالثة، إنها البديهة التي تحكم حسب **بورس** الآليات الأساسية لترجمة الفكرة ، وتفترض في كل فكرة الارتباط على الأقل بفكرة أخرى، وكذلك هي مثلا، نتائج القياس بالنظر إلى المقدمتين الكبرى والصغرى، كونها تأويلات لإحداهما بوصفها متزاوجة مع نظيرتها[3]، يقول **بورس** «إذا ما افترضنا

أن كل فكرة هي علامة، فينبغي على كل فكرة أن تقود بـــدورها إلى فـكرة أخرى، وأن تـحدد فكـرة أخرى، طـالما أنه كـذلك هو جوهر العلامة»[4]. إن العلامة أو الأمثول (representamen) هي كل شيء يأخذ مكان شيء آخر من أجل شخص ما وذلك تحت أية علاقة أو أية حجة، فهي توجه لشخص ما بخلقها في ذهن هذا الشخص لعلامة مكافئة أو أكثر تطورا تدعى بالمؤول (interprétant)، وتأخذ مكان شيء ما يدعى بالموضوع (l'objet) وذلك ليس تحت أية علاقة كانت ولكن فقط بالإحالة إلى نوع ما من الفكرة يسميه **بورس** «بعماد الأمثول»[5]، وبذلك تبرز مركزية الفكرة، فالفكرة إذا تظل الصيغة الأساسية والوحيدة للتمثل[6]. بل إن صورة ارتباط الفكرة بالتمثل تبدو شبيهة بارتباط وجهي العملة الواحدة إذ لا قيمة للتمثل من دون فكرة، ولا قيمة للفكرة من دون تمثل.

بيد أن تأطير هذا التصور النظري بالمشروع السيميائي يظل حسب **ك. تييرسلين**(C.Tercelin) رهين إشكاليتين أساسيتين؛ ترتبط أولاهما بالتحديد الدقيق لمفهوم العلامة، وثانيهما بضبط حدود واضحة المعالم لمجال السيميائيات. والواقع أن **بورس** لا يقر أساسا بالمصادرة التمييزية بين ما هو علامة وما هو غير علامة، لاعتقاده باستحالة الأشياء في ذاتها ، لذلك يرى أن لا وجود لأي شيء كان يمكنه أن لا يكون علامة، وهو ما يجعلنا حسب **تييرسلين**[7] إزاء ميتافيزيقا للعلامة تستنكف عن حد المشروع السيميائي أو السيميائيات بحد الـمادة الأكـاديمية المستـقلة، بل وتراوغ حتى في وصفها بالنظرية العامة، الصورية، الخالصة أو بالنظرية التأملية. وحتى وإن بدت السيميائيات بصريح لسان **بورس** هي المنطق كله بوصفها علما مستقلا للعلامات، فإن المنطق ههنا ليس بمعناه الضيق، ولكنه المنطق المرتبط في كليته بالنزعة الوجودية التي تقوم على واقعية المقولات الثلاث[8]؛ منطق لا يكل ولا يستحي من تكرار مقولة الإنسان- العلامة.

إن الدلالات المفتوحة هي بمثابة الإنفجار الكبير لذرة دلالة أولية غامضة الجوهر؛منخلقة من العدم. ولعل المبادىء الرياضية والأنطولوجية تفرض علينا حسب **محمد مفتاح**[9] تحوير المقولات الفكروسكوبية انطلاقا من حقيقة العدم ، لذلك نلفيه ينساق نحو إدراج الصفرانية بوصفها رتبة أولية سابقة عن الأولانية والثانيانية والثالثانية.

2.1.2- المقولات الفكروسكوبية :

تعنى الفكروسكوبيا[10] حسب **بورس** بدراسة الأفكار ووصفها ، إذ تتولى بوصفها نظرية قاعدية تحديدا؛ دراسة تلك الأفكار التي تصدر عن التجربة العادية وتتصرف طبيعيا ضمن علاقتها بالحياة اليومية، من دون أن تلتفت لمدى مقبوليتها، لذلك يقترح **بورس** وصفها بالفانيرونات(Les phanérons) دلالة بهذه التسمية على المحتوى الكلي للوعي، فأيا كانت صور حضورها في الذهن وأيا كانت قيمتها المعرفية أو مدى تطابقها مع ما هو واقعي فهي لا تخرج عن مجال الوعي[11]. ويتركز الوصف ههنا أساسا على مبدأ البسط الصوري أو الشكلي لكلية الفانيرون بعيدا عن تعداد مكوناته أو تحديد عناصره؛ حيث تخضع قابليته التفكيكية للمصادرة الثلاثية التجريبية-الصورية، فـ **بورس** يرى أن صيغ الكينونة لا تخرج عن صور ثلاث أولاها تصورها باستقلالية عن أي شيء آخر، وثانيها تصورها متعالقة مع أي شيء آخر، أما ثالثها فهي

تصور الوساطة التي يتعالق من خلالها الأول بالثاني، وهي صيغ يمكننا ملاحظتها بصورة مباشرة ضمن عناصر كل ما يمكنه أن يحضر في أية لحظة في الذهن بطريقة أو بأخرى. أما من الوجهة الرياضية فإن الثلاثية هي كافية براغماتيا وضرورية منطقيا؛ ضرورية لإنشاء لانهائية من العلاقات وكافية بالمعنى الذي تلبي فيه حاجات الاقتصاد من خلال الاختزال الممكن لكل عدد أكبر من ثلاث إلى علاقات ثلاثية[12]. لا تختلف الدراسة الفكروسكوبية عن الدراسة الكيميائية،كونها تقوم على غرار التحليل الكيميائي بمراعاة قيم العناصر المتفاعلة للفانيرونات فتسعى إلى تحديد مراتبها (الأولانية ،الثانيانية ، الثالثانية) وضبط أنماطها (أصيلة ،منحلة أو غامضة).

تمثل الأولانية والثانيانية والثالثانية في حقيقة الأمر، وصفا للمكونات الثلاثة للقوى، والتواردات والأفكار بوصفها أكوانا واقعية غير منفصلة، كونها ترتبط تباعا بالمقولات المتكاملة للكينونة، والوجود والفكرة من جهة؛ أو للإحساس، والحدث والوعي من جهة أخرى[13]. بيد أن المرجعية الرقمية للبرتكول الرياضي أفضت بورس إلى إعادة تقسيم المقولات الأساسية نفسها إلى تسع مقولات فرعية تنتظم بدورها ضمن ثلاثة أنماط مقولاتية هي : الأنماط الأصلية(Authentique)، والمنحلة (Dégenére) والعارضة [14] Accidentelle.

الأنماط الأصلية وتضم كلا من الأولانية الأولى (1.1)، الثانيانية الثانية (2.2) والثالثانية الثالثة (3.3).

الأنماط المنحلة وتضم كلا من الثانيانية الأولى (1.2)، الثالثانية الأولى (1.3) والثالثانية الثانية (2.3).

ج. الأنماط العارضة وتضم كلا من الأولانية الثانية (2.1)، الأولانية الثالثة (3.1) والثانيانية الثالثة (3.2).

	الأولانية	الثانيانية	الثالثانية
الأنماط المنحلة		الثانيانية الأولى (1.2)	الثالثانية الأولى (1.3) الثالثانية الثانية (2.3)
الأنماط الأصلية	الأولانية الأولى (1.1)	الثانيانية الثانية (2.2)	الثالثانية الثالثة (3.3)
الأنماط العارضة	الأولانية الثانية (2.1) الأولانية الثالثة (3.1)	الثانيانية الثالثة (2.3)	

إن أولى مراتب الأولانية (1.1) أن تكون نوعية (qualité) حسية كامنة (لون، ذوق، رائحة، انفعال...الخ) تشغل حيز الإمكان الموجب كالحمرة، بيد أن مجرد التفكير في علاقتها بالمادة ينزل بها إلى رتبة العلاقة العرضية (2.1) التي لا تتغير من خلالها النوعية مطلقا ، كتفكيرنا في حمرة الوردة، فحمرة الوردة هنا، ليست سوى مجرد نوعية ممكنة إيجابا وفقط، بل إنها تتجلى ضمن موضوع فرداني؛ أي ضمن جسم يخصصها، في حين تجد الأولانية رتبتها الثالثة (3.1) بوصفها نمطا مقولاتيا عارضا ضمن مجال الإمكان الخالص للفكرة؛ أي وبالتحديد لفكرة النوعية، حيث تتحول الحمرة -كما في المثال السابق- إلى فكرة مجردة (فكرة الحمرة)[15]، إنها الفكرة التي تمتلك طاقة التعالي عن أية صورة كانت من صور التحقق الكوني.

بينما تتراتب الثانيانية بوصفها مقولة للوجود والحدث أولا (1.2) باعتبارها نوعية علائقية للقوة- المقاومة؛ إنها تمثل ذلك الوجود المحسوس ضمن أولانياته، فالضجيج الصاخب لحظة السكون مثلا، قد لا يجعلك تفكر في شيء آخر عدا الانزعاج، حيث يتحول الضجيج نفسه بشرخه لحالة السكون

إلى تجربة للوعي بقطبية الإحساس الأول والثاني فقط (السكون/ الضجيج)، من دون أن ترتقي هذه التجربة إلى الوعي بآلية أو سيرورة هذا التحول. أما في الرتبة الثانية (2.2) فإننا نلفي أنفسنا أمام الحدث الخام؛ أي أمام الوجود الفردي للفعل ضمن فردانيته، فـ بورس يرى ضمن سياق حديثه عن علاقة السقوط بقانون الجاذبية، أن السقوط الآني للحجر مثلا هو في الأساس، وببساطة، حدث للحجر والأرض في تلك اللحظة. ولما كانت الثانيانية الأصيلة ثنائية فإن الحدث ضمنها يأتي متضمنا لصراع الفعل وردة الفعل. في حين تأخذ الثانيانية رتبتها الثالثة (3.2) بوصفها مجالا لتحيين الحدث إلى واقع عبر تخصيصه زمنيا ومكانيا[16]. وبذلك يأخذ تحيين الحدث ضمنها شكل ترتيبات لتحديد علاقته بالموجودات الأخرى.

تشرف الثالثانية على دور الوساطة بين الأولانية والثانيانية ، وبوصفها نظاما للقانون أو القاعدة فهي تتمظهر بهذا النظام ضمن الأحداث؛ أي ضمن الثانيانية، ثم إن الأحداث بدورها ليست إلا تحيينا للنوعيات؛ أي للأولانيات[17]. إن أولى مراتب الثالثانية (1.3) أن تكون وساطتها ذهنية لفكرة أو لتمثل ما، إنها تمثل المقولة الأكثر انحلالا للثالثانية كونها لا تقف حتى على ثانيانية حقيقية، وتنطبق هذه المقولة على فن رسم الأشخاص، فالرسام يعمل على إيجاد وساطة بين الأصل والشبه. في حين تأخذ الثالثانية رتبتها الثانية (2.3) بوصفها تمثل أولى درجات الانحلال التي تقوم الوساطة ضمنها على الإجراء حيث لا نجد ثالثانية حقيقية بقدر ما نلفي ثنائية حقيقية كصورة الدبوس المخترق لشيئين أبقى على واحد منهما[18]. أما ضمن رتبتها الثالثة (3.3) فتكون الثالثانية أصيلة بوصفها عموما للقانون وللضرورة ومن ثم للتكهن والتنبؤ، فقانون الثقل مثلا، يسمح لنا بالتكهن بسقوط حجر على الأرض إذا ما أسقطناه. ثم إن القانون نفسه ليس إلا صيغة لاستمرار المستقبل اللانهائي في الكينونة، فنكون إذ ذاك إزاء وساطة مستمرة. إن الثالثانية الأصيلة هي تلك المقولة التي تكون ضمنها الوساطة واقعية بملموسيتها أو بموضوعية سبب الوساطة فيها[19]. فالوساطة إذا ليست شرطا في ذاتها بل هي شرط بمدى فاعليتها في ضمان أصالة الثالثانية وديناميتها داخل الدلالات المفتوحة.

تدافع سيميائيات **بورس** عن أولانية العلامة بوصفها سابقة في الوجود ؛ فهي تهب بوضعها الكارثي موضوعات الواقع كينوناتها وتحمل في طياتها – على صعيد اللغة- خطر « التهديد الذي يحمله الموجود للموجود »[20] ، وذلك حين يتحول الواقع بدوره إلى أمثول لواقع آخر.

1.2. التعالق والتراتب

تستمد آلية التفريع الثلاثي للعلامة مرجعيتها من التموقع بسيرورتها الثلاثية ضمن خط عمودي، وذلك بتخصيص فردانية كل من الأمثول، والموضوع، والمؤوَل على نحو تستوضح فيه كل لحظة من لحظات السيرورة الكلية للعلامة أفقيا؛ أي أولانيا، وثانيانيا، وثالثانياً، حيث تختزل ضمن لحظات ثلاث تأخذ شكل تعاقب علائقي؛ لعلاقة الأمثول مع نفسه أولا، ثم لعلاقته مع الموضوع ثانيا، فعلاقته مع المؤوَل ثالثا.

إن كونية العلامة لا تمنع تأمل كل ركن منها بوصفه أمثولا، وموضوعا ومؤوَلا في الوقت نفسه، ومثل هذا الرأي الذي يدعيه ج. **دولودال**[21] (G. Delédalle) يفضي إلى ترجمة علاقة الأمثول

مع نفسه أولانيا بوصفها أمثولا للأمثول ، وثانيانيا بوصفها موضوعا للأمثول، أما ثالثانيا فبوصفها مؤوَلا للأمثول. وينطبق الأمر على علاقة الأمثول مع الموضوع التي تأخذ وضع أمثول للموضوع ضمن رتبتها الأولانية، وموضوع للموضوع ضمن رتبتها الثانيانية، فمؤوَل للموضوع ضمن رتبتها الثالثانية. ولا يختلف الأمر بالنسبة لمراتب علاقة الأمثول مع المؤوَل فهي تأخذ وضع أمثول للمؤوَل أولانيا، ووضع موضوع للمؤوَل ثانيانيا ثم مؤوَل للمؤوَل ثالثانيا.

يرى بورس[22] أن العلامة تخضع للانقسام بموجب ثلاثة اعتبارات: أولا باعتبار العلامة في علاقتها مع نفسها مجرد نوعية بسيطة؛ أو وجود واقعي؛ أو قانون عام، ثانيا باعتبار مكمن علاقتها مع الموضوع؛ باحتفاظ العلامة ببعض الخصائص في ذاتها؛ أو في علاقتها الوجودية بالموضوع؛ أو في علاقتها بالمؤوَل، ثالثا باعتبار تمثيل المؤوَل للعلامة بوصفها علامة للإمكان؛ أو علامة للحدث؛ أو علامة للمعقول. وفي هذا السياق نلفي تخريج ن. إيفريت – دسميث[23] لهذه التقسيمات مقرونا بفهم حقيقة وطبيعة كل مقولة من المقولات الثلاث، فالأولانية تعد نظاما للكلية المطلقة المنفصلة عن الزمن؛ كلية لا تتضمن شيئا آخر غير نفسها (علامة نوعية) ولا يمكنها أن تقوم علائقيا إلا بالمشابهة والمطابقة (علامة أيقونية)، حيث يضعها الإمكان الخالص موضع الاحتمال المجرد (علامة حملية). في حين أن الثانيانية وبوصفها نظاما للتفرد وللحدث الواقع ضمن سياق خاص (علامة متفردة) فهي تختلق العلاقة بالإشارة إلى التفرد الحدثي (علامة قرينية) وتنسجها ضمن الواقع (علامة مقولية). أما الثالثانية فهي نظام للنسق والقانون (علامة عرفية) ؛ نظام يمنحنا بالتواضع والعادة (الرمز) مفاتيح القاعدة (الحجة).

		الأولانية	الثانيانية	الثالثانية
		أمثول	موضوع	مؤول
الأمثول في علاقته مع نفسه (1.1)	الأمثول	علامة نوعية Qualisigne	علامة متفردة Sinsigne	علامة عرفية Légisigne
الأمثول في علاقته مع الموضوع (2.1)	الموضوع	أيقونية Icône	قرينة Indice	رمز Symbole
الأمثول في علاقته مع المؤول (3.1)	المؤول	حمل Rhème	مقولة Dicisigne	حجة Argument

إن القراءة الصحيحة لنتائج هذا الجدول تقوم أساسا على الوعي بأهمية المقولات الثلاث في بلورة نتائج التفريع الداخلي[24]. إن العلامة ثالثانية، ولا يمكن لعلامة بسيطة من علامات التفريع الثلاثي أن تؤلف علامة بالمعنى التام، وتوليد الثالثانية مثلا، للعلامة العرفية والرمز والحجة تباعا، لا يعني مطلقا أنها – أي هذه الأخيرة – تحقق المبدأ الثالثاني، بقدر ما يعني احتلالها لرتبة الثالث فقط. وباشتمال العلامة التامة للأول،والثاني والثالث يرتهن خضوعها للبعد التركيبي،والدلالي والتداولي، أي خضوعها لمقومات دعائم المنطق الجديد (منطق العلاقات).

2.2. التمثل، الإحالة والتأويل:

يرى **بورس**[25] أن كل نوعية من شأنها أن تؤلف علامة؛ فهي تعد علامة نوعية، حيث يسمح لها فعل التجسيد بالتصرف كعلامة مستقلة بطبيعتها عن المجسدات. إن النوعية هي كل خاصية يمكن تأملها بوصفها وحدة مجردة عن تواردتها الخاصة، فهي عامة، ومعقدة تقبل الإنتاج الفوري والمتكرر؛ غامضة، ومتداخلة لا يمكن تحديدها ولا إحصاؤها، إذ يسمح مظهرها المتناقض غير المتفرد بتحديدها ضمن مجال السيرورات الأولية للتفكير[26]. إن كل

محاكاة لهذه النوعية المفتوحة عن طريق النسخ، أو التقليد،أو الإسقاط،أو المماثلة أو المشابهة أو المطابقة تقود إلى تأسيس علامة نوعية قابلة للتواصل[27]. لعل الخاصية الرئيسة للأمثول هي « أن يكون ذاته وشيئا آخر في ذات الوقت، أي...كبنية للإحالة وكقدرة على الانفصال عن نفسه وأن لا يكون له وجود في ذاته، أي قريبا في المطلق من نفسه»[28]. بيد أنه يستحيل التقاط فعل العلامة النوعية من دون اللجوء إلى سيرورة تجريدية تنقى ضمنها العلامة النوعية وترشح من شوائب الواقع المجسدة فيه[29]. إن إيقاع الموسيقى،والرقص، والسرد،والكون كله ما هي إلا تجسيدات تقربنا بكل هذه الإسقاطات من العلامة النوعية للإيقاع المتعالي تيمي الطبيعة، وقد يقول الأعمى مثلا أن اللون القرمزي شبيه بدوي المزمار، ويكون بذلك قد جسد العلامة النوعية للانفجار باللون والصوت، ولا يختلف الأمر في تيمات من مثل الجمال، والحزن، والفرح، والذوق أو الرائحة وغيرها من العلامات النوعية. إن جنوح الإنسان إلى مثل هذه التكريرات الإنتاجية بالإسقاط، أوالمحاكاة، أو التقليد لاستهداف التجسيد هو في الأصل جنوح لمطمح الإفهام في التواصل.

يقرن **دافيد سافان**[30] (D. Savan) تحديد العلامة النوعية بالوضعية التي تشغلها داخل سيرورة الدلالات المفتوحة، فعبر كلية نوعيتها واستقلاليتها عن العلاقة الزمكانية بالموضوع تؤلف العلامة النوعية وجها من أوجه عماد-العلامة. إن الفرق بين الضوء الأحمر للإشارة المرورية ولون العينة الدالة على لون دلو من الطلاء مثلا يكمن في الاختلاف الذي يقره مسبب «وجهة النظر»؛ التي يعمل من خلالها اللون الأحمر أو لون العينة بوصفه عمادا، فالضوء الأحمر يتحول إلى إشارة تدل السائق على التوقف عند مصادفته في الطريق؛ أي عند الحدث (علامة متفردة)، وذلك على خلاف لون العينة إذ تكفي النوعية وحدها للتعرف إلى لون الطلاء (علامة نوعية). لقد أكدنا سلفا أن للعلامات النوعية أهمية بالغة في عملية التواصل بالنوعيات، ما تعلق الأمر بإسقاط أو مطابقة أو مماثلة، فالحركات الجسمية لمعلم السباحة مثلا، هي علامة نوعية تؤَول في ذاتها بوصفها علامة-عماد لحركات المتعلم التي تستهدف المحاكاة النوعية. وفي الطبيعة، تأخذ التمويهات الحيوانية وضع مؤَولات لعلامات نوعية، تسعى من خلالها الحيوانات بأنواعها إلى تبليغ رسائل لمغالطة العدو (مثلا: لون الحرباء المحاكي للون الوسط).

يستطيع كل شيء أو حدث واقعي أن يؤلف علامة متفردة وذلك بالنظر إلى مجموع الظروف الخاصة المحيطة به؛ ظروف يخضع من خلالها الشيء أو الحدث الواقعي للتفرد كونها تؤلف عمادا للعلامة، وبذلك تستند العلامة المتفردة على العلامات النوعية، فالحدث أو الشيء الواقعي لا يمكنه أن يوجد في العلامة المتفردة إلا عبر نوعياته[31]. إن تفرد بيئة طبيعية بتغريدة عصفور ما (علامة متفردة) ليس منوطا في تأسيس وجهة النظر التي تعمل من خلالها التغريدة بوصفها علامة، بالنوعية بقدر ما يرتبط بالحدث الذي تشير من خلاله هذه التغريدة إلى مكان بعينه. وعلى الرغم من ذلك، فإن الحدث المتفرد لا يمكنه أن يصير علامة متفردة من دون نوعيات تستوجب التجسيد في الواقع حتى تأخذ مظهر العلامة. فالعلامة المتفردة إذا، لا تخلو من العلامات النوعية المجسدة واقعيا والتي يسهل استنباطها في كل الأحوال عن طريق التجريد[32].

إن المستغرق في تأمل لون ما داخل صورة شخصية لإنسان بعينه، أي في تأمل علامة نوعية، لا ينفي أنه إزاء علامة متفردة، وفي المقابل فإن الإمكانية الآنية للصعود أو النزول للعلامة المتفردة للسلالم مثلا، لا تحجب عنا الاستغراق في تأمل مادتها أو شكلها (علامات نوعية)، وينطبق الأمر على أي عرض أو تمثال أو صورة فوتوغرافية قد نشاهدها.

و قد أكد **د. سافان** على أهمية السياق الخاص في تمييز العلامة المتفردة عن النوعية، فعلى خلاف العلامة النوعية تجد الظروف الخاصة المحيطة بالحدث أو الشيء الواقعي في العلامة المتفردة ما يؤهلها لدور العلامة-العماد كونها تتلائم مع خصيصة التفرد. إن ما يؤسس لعماد علامة عرفية من قبيل طلقة المسدس المعلنة لبدء السباق مثلا؛ أي لوجهة النظر التي تشتغل من خلالها الطلقة بوصفها علامة، لا يقترن حسب سافان[33] برائحة البارود أو بشكل المسدس أو بجهة الإطلاق، بل يتعلق أساسا بالحدث الخاص الذي يخرق جو السكون ويعلن لحظة الانطلاق الرسمي. وبإهمال مراعاة السياق المرتبط بالعلامة المتفردة يفقد الشيء أو الحدث الواقعي في ذاته خصيصة التفرد، فالمتأمل لتلك الكلمات الطقسية مثلا في عقد القران أو في المحكمة أو في الشعائر الدينية وغيرها يجدها علامات متفردة مقترنة بسياق خاص تمليه وضعية التلفظ ، والخروج بها عن سياقاتها الخاصة إلى سياقات أخرى قد ينزع عنها سبق التفرد.

يعد القانون جوهرا للعلامة العرفية إن بصورة قبلية إذا ما حدد سلفا عبر العقد والتواطؤ القسري، وإن بصورة بعدية إذا ما أقرته العادة. واقتران الإنسان بإقامة القانون في الغالب، يعني أن كل علامة تعاقدية هي علامة عرفية شرط خضوعها لنسق معين؛ فكلمات اللسان، والكلمات السرية، والشارات، وتذاكر الدخول لمشاهدة عرض ما، وإشارات المرور كلها علامات عرفية، بيد أن العكس ليس بصحيح في كل الأحوال، فليست كل علامة عرفية تعاقدية بالضرورة[34]. تتعالى العلامة العرفية عن الطبيعة الفردية للأشياء كونها تؤلف بقرار من الإنسان نمطا عاما دالا في ذاته[35]، حيث يجد هذا النمط في الطبيعة التجسيدية للعلامات المتفردة مفعلا له داخل نظام «المطابقات». إن العلامة العرفية دالة بمطابقاتها يستمد دلالتها من القانون أو القاعدة[36]. تستطيع مجموع القواعد الصوتية، التركيبية والدلالية والتداولية أن تحدد مجال استعمالات اللسان العربي لحرف من مثل «ما» (علامة عرفية)؛ حرف يجسده الصوت أو الكتابة ضمن علامات متفردة تتضمن بدورها علامات نوعية، حيث يؤلف كل مطابق علامة متفردة من نوع خاص، تتعلق دلالتها بالعلامة العرفية المنوطة بها بالنظر إلى قواعد اللسان (اسم موصول،أو أداة استفهام، أو أداة نفي، إلخ).

إن ادعاء الفصل التعسفي بين العلامة النوعية، والمتفردة والعرفية، وعدها كيانات متباينة، أمر به شيء من اللبس، وهي إذ تأخذ مظاهرها المتعددة لا تعدو أن تكون ثلاث وظائف متمايزة تتغاير بتغاير أوجه العلامة العماد[37]. وإذا كان من المسلم استحالة ضبط العلامة العرفية والنوعية من دون علامات متفردة تحتويها، فمن الواجب تحديد صورة العلاقة الاحتوائية في كل منهما. إن علاقة العلامة العرفية بمطابقها هي علاقة نمط عام محدد الهوية بجملة من التواردات المتباينة، في حين أن علاقة العلامة النوعية بمجسداتها هي علاقة محاكاة

لنوعية خالصة لا تمتلك هوية محددة، لكنها تقبل التمظهر ضمن تمظهرات تظل أعجز عن مطابقتها بتمام[38]. فالفرق إذا بين العلامة العرفية والنوعية لا تحدده طبيعة العلامة المتفردة بقدر ما تحدده صور انعكاسها المجسدة لعلامتين متباينتين ماهية وطبيعية.

قد لا يختلف عديد من الباحثين في الإقرار بالقيمة العلمية التي تحظى بها تقسيمات العلامات وتعريفاتها، وكل رؤية سطحية تتخذها مجرد تصنيفات بالمعنى البسيط، إنما تنم عن إهمال لمرجعيتها الفلسفية. ففي ضوء البعد الفلسفي تتحول هذه التعريفات والتصنيفات إلى نماذج تجتمع بها كل المظاهر الوجودية والابستميولوجية للكون الدال؛ مظاهر تستقطب جوهر الإشكالات السيميائية، وتقترن بقضايا الإحالة، والوهم والواقع، والموضوعية، والحقيقة وغيرها.

تتضمن الأيقونة خاصية العلامة الدالة، دون مراعاة وجود موضوعها من عدمه أو احتكامها إلى مؤوَل بعينه. فالجرة المستقيمة للقلم مثلا، تعد أيقونة للخط الهندسي، كما يتضمن القالب الأيقوني لطلقة نارية مثلا، وجود ثقب بعينه، سواء اعتبرنا الطلقة النارية مؤوَلاً أولا[39]. صحيح أن الأيقونة تتحدد بموجب الطبيعة الداخلية للموضوع لحظة الإنتاج، بيد أنها تحيل إليه بموجب خصائصه سواء وجد أو لم يوجد، وبغياب الموضوع قد تفقد الأيقونة حق التصرف بوصفها علامة، إذ لا علاقة لذلك بخاصيتها كعلامة، فأيا كانت حقيقتها نوعية أو موجوداً أو قانوناً تظل بشرط المشابهة أيقونة لشيء ما[40]. ولا تختلف الأيقونة ههنا، باختلاف النوعيات، أوالموجودات، أو القوانين، فعلى غرار النوعية المرئية يمكن لنوعية الإحساس الناتج عن عزف قطعة موسيقية أن يتأمل بوصفه أيقونة لمقاصد المؤلف، كما يمكن للصيغة الجبرية أن تكون أيقونة لظاهرة رياضية، ولا يختلف الحال بالنسبة لصور الأشعة الملتقطة من جسم إنسان ما.

إن من مزايا الإحالة الأيقونية كشف الحقائق الباطنية التي لا تظهر للوهلة الأولى، لذلك يراهن الرياضي في استعماله للصيغ الجبرية؛ أي للأيقونات، على قدرتها في كشف حقائق غير متوقعة. فقد تعمل رسمة كاريكاتورية مثلا، على فضح الخصائص الشكلية التي تطبع شخصية ما ولا تظهر بسرعة للعيان (القصر، الطول، انحناء الظهر، ثخون الأنف أو طوله، تجاعيد الوجه وغيرها)، فتصبح بعد ذلك مثار انتباه. إن الطريقة المثلى لشد الانتباه وتحقيق تواصل مباشر بالأفكار أو تأكيدها منوط بتوظيف العلامات الأيقونية في أثناء عملية التواصل[41]. بذلك تغدو خصيصة المشابهة في العلامة الأيقونية وسيلة لا غاية؛ وسيلة تستند إليها الأيقونة كما تستند إلى المقابلة، والمكافئة والمناقضة. فـ بورس لا يرى بأسا في اتخاذ وضع شخص ما في حالة سكر كأيقونة بالتناقض[42]على السمو والاعتدال.

لا تخرج صيغ الروابط النوعية بين الأيقونة وموضوعها عن ثلاث صيغ تتحدد من خلالها صور التباين الكيفي بين الأيقونة الصورة، والأيقونة الترسيمة والأيقونة الاستعارة. إن التعبير عن انتباج الوجه بحمرة الطماطم مثلاً، يؤوَل بوصفه صورة أيقونية لكل انفعال باد على الوجه، وهو ما يستوجب الاستحضار الذهني لحبة الطماطم بنوعية حمرتها، ثم استخلاص هذه النوعية لتصوير النوعية اللونية للوجه حال الانفعال، في حين أن ارتباط الأيقونة

بالموضوع عبر جزئية نوعية، يمنح للعلامة مظهر ترسيمة أيقونية، فعلى غرار الصيغ الجبرية والرسوم البيانية، يمكننا أن نؤوِل تعرف متذوق محترف على وجود مفتاح حديدي داخل نبع من الماء مثلا؛ انطلاقا من ذوق الحديد، بوصفه ترسيمة أيقونية، أما ارتباط الأيقونة بموضوعها لمجرد التصور النوعي فيأخذ وضع استعارة أيقونية، حيث يسعى هذا النوع من الأيقونات إلى تمثل الخاصية التمثلية لعلامة ما ووضعها في تواز مع شيء آخر[43]. فالشاهد في الاستعارة إذا؛ لا يقاس على ذات الغائب بقدر ما يقاس على تمثلية الغائب. إن السيف في قول الشاعر[44]: »ومسنونة زرق كأنياب أغوال «لا يقاس بوصفه شاهدا على ذات أسنان الغول التي لا وجود لها (الغائب)، بقدر ما يقاس على تمثليتها الحسية بوصفها أمثولا لموضوع غائب. إن « التأويل الاستعاري، في حدود ارتكازه على نماذج وصفية موسوعية وإبرازه لبعض الخصائص المميزة، لايكشف عن وجود مماثلة وإنما يقوم ببنائها»[45]. ذلك أن سحر الإحالة الأيقونية كثيرا ما يفقدنا الوعي بكونها مجرد علامة، ويدفعنا إلى ما يسميه **بورس**[46] بلحظة الحلم الخالص حيث لا مجال لأي تجربة كانت خاصة أو عامة.

تستمد القرينة شرعيتها الإحالية إلى الموضوعات التي تعينها من وقع حدوثها الواقعي عن الموضوع نفسه، فالقرينة هي كل علامة محددة عبر موضوعها بموجب علاقة واقعية تكون تارة أصيلة وأخرى منحلة. إن القرينة الأصيلة هي نتاج علاقة ثانيانية وجودية تحيل من خلالها كل قرينة إلى ثان مفرد؛ على نحو إشارتي بسبابة الأصبع إلى لوحة معينة، أما القرينة المنحلة فتحصل عن علاقة ثانيانية إحالية خالصة تنشأ عن اختلاقات الذهن وابتداعاته؛ من ذلك مثلا الضمائر المتصلة، فعلى الرغم من قدرتها على الإحالة إلى الأشياء عرضيا وبصفة غير مباشرة، فهي قرائن منحلة لا تحيل إلا على تلك التصورات التي تخلفها الكلمات السابقة[47]. ويرتبط الانحلال ههنا بتعيين موضوعات لمعينات سابقة في شكل إحالة خالصة.

إن من مميزات الإحالة القرينية، ارتباط القرينة الدينامي بموضوعها الفردي؛ وتاليا بالمعاني أو بذاكرة الشخص الذي توجه إليه العلامة. كل ما يشد الانتباه فهو قرينة، كل ما يمكنه أن يفاجئنا أو يأخذنا على حين غرة يستطيع أن يؤلف قرينة ضمن الإطار الذي يسم فيه وصل وضعيتين لتجربة ما. فكذلك يمكن لصعقة الرعد أن تثير في أذهاننا ترقب حدوث شيء ما، فعلى الرغم من أننا لا نعي بالتحديد ما هو هذا الحدث، إلا أننا نترقب ارتباطه بتجربة أخرى[48]. ترتبط المفاجأة وشد الانتباه في القرينة بمقصدية المرسل، فصراخ سائق عربة تفاديا للاصطدام براجل على الطريق مثلاً، قد لا يؤلف قرينة بالمعنى التام، إلا في الوضع الذي يستهدف فيه السائق التصرف في النظام العصبي للراجل، لإبعاده عن الاصطدام، بوضعه ضمن علاقة واقعية مع وضعيته بالنظر إلى العربة[49]. ولا يكون صراخه كذلك إذا ما جاء على شكل كلمة دالة؛ أي إذا ما استعمل السائق كلمات تامة (رمز) من مثل «ابتعد»، «احذر»، «ماذا تفعل؟»...إلخ، فيسعى السائق بذلك إلى وضع الراجل في الفعل.

قد تأتي القرينة على هيئة بصمة أو أثر كما يمكنها أن تأتي في صورة إشارية (مؤشر)، فمثلاً يعد أثر الطلاء في السيارة ما بوصفه ناتجا عن

الاصطدام بسيارة أخرى أثرا قرينياً، وبصمات الأصابع بصمة قرينية، مثلما يؤلف سعر السيارة ونوعيتها قرينة إشارية (أو مؤشراً) لمكانة صاحبها وحظوته الاجتماعية[50]. تظل البصمات حسب **آمبرتو إيكو**[51] (U. Eco)، رغم طبيعتها السننية بتقابلاتها وخصائصها المميزة، أبعد عن ماهية العلامة، فهي لا تعدو أن تكون مجرد كيانات قابلة للإدراج ضمن وظائف سيميائية محددة. ويختلف الأمر بالنسبة للأثر، إذ لا يتضمن هذا الأخير جملة المتغيرات الشكلية التي تؤثث هويته فقط، بل يحمل في ثناياه تأويلات عن وضعية صاحب الأثر،أوحالته، أواتجاهه، فهو لا يمثل إذاً وحدة بسيطة للمحتوى فحسب ولكنه خطاب قائم بذاته، لذلك يرى **إيكو** أن الأثر كثيرا ما يحمل ملامح النص. وقد اشتهر العرب قديما باقتفائهم للأثر وذلك لحسن استنطاقهم لهذه الحيثيات النصية، وكثيرا ما ارتبطت قوة الفراسة عندهم بملكة تأويل الآثار.

ليس للقرينة من دور عدا دور الإحالة، فهي تعرف بوظيفتها البراغماتية التي لا تخرج عن حد الإخبار، وباعتمادها على التعيين دون الدلالة فهي لا تسمح بإنشاء الموضوع في ذهن المتلقي فحسب بل تجعله متيقنا من وجوده[52]. إن انخفاض البارومتر ورطوبة الهواء تؤلفان قرينة على نزول المطر، وذلك إذا ما افترضنا تدخل قوى الطبيعة لإقامة رابط بين البارومتر المنخفض ورطوبة الهواء مع المطر المرتقب، ويحصل الشيء نفسه بالنسبة لدوارة الرياح التي تعد قرينة على اتجاهات الرياح، كونها ترتبط واقعيا بحدث الاتجاه الذي تمليه الرياح، فبانعطافها يتورط الإنسان حسب **بورس** عبر «قانون الذهن» بالتفكير بأن هذا الاتجاه مرتبط باتجاه الرياح.

لقد قاد تأمل **روي هاريس**[53] (R. Harris) لهذين المثالين إلى وجود خيط رفيع يفصل مسألة معرفة كيفية اشتغال الأشياء عن معرفة تأويل نتائجها، ففي كلتا الحالتين، يتعلق الأمر بأدوات صنعت عمدا لتحقيق إمداد آلي ببعض التعليمات، فدوارة الرياح لا تنعطف إلا من خلال السهم الذي يعد رمزا عاما على الاتجاه، والبارومتر لا تنخفض عقاربه إلا داخل المؤشرات الرقمية المحددة له، ويكفي **بورس** معاينة الاتصال الدينامي في القرينة لحدس المعنى المتولد عنها. ثم إن ادعاءه بوجود «قانون للذهن» يفرض علينا تأويلات القرائن، يبدو حسب **ر. هاريس** مشوبا بالشكوك، ذلك أن الفهم الصحيح لسر العلاقة بين الأحداث المشاهدة وتأويلاتها مرتبط بالإحاطة بتحليل الآليات النفسية- السيميائية (Psycho-sémiotique).

يعد التعليل بالمجاورة[54] من أهم الخصائص القاعدية للقرينة،فقد لا تمتلك أي تطابق دال مع موضوعها، وقد تحيل إلى موضوعات تختلف عنها تماما، بيد أن طريقتها في الإحالة بشد الانتباه إلى الموضوع عبر تحريض أعمى يجعلها أكثر العلامات تعليلا، وكونها تؤلف ذروة التعليل؛ وتستند إلى الإحالة الذاتية على خلاف باقي العلامات، فإن مجال بحثها داخل السيميائيات يؤلف حسب **دانييل بونيو**[55] (D. Bougnoux) تخوما آنية لهذا العلم.

يتحدد تأويل الرمز بإحالته إلى الموضوع بموجب قانون، أوعادة أو ارتباط بأفكار عامة. وبذلك يضع الخاصية التي تجعل منه علامة- بالمعنى التام- موضع الرهان بالنظر إلى وجود المؤول من عدمه. إن الرمز هو كل علامة تفقد الخاصية التي تجعل منها علامة إذا لم يوجد لها مؤول، فكل خطاب مثلا، يدل

على كل ما يدل عليه لمجرد اعتقادنا بوجود الدلالة[56]. ويقترن عموم الرمز بعموم موضوعه، لذلك يحتاج الرمز إلى وساطة «المطابق»؛ فالعام لا يحقق كينونته سوى ضمن حالات خاصة، وعلى الرغم من ذلك فهو لا يشير إلى شيء خاص كونه يمثل جنسا عاما لجملة من الأشياء المفردة.

إن منطوق أو مكتوب كلمة من مثل «إنسان» ليست حسب **بورس**[57]، إلا مطابقات أو تجسيدات للكلمة بالنطق أو الكتابة، حيث تكمن الكينونة الواقعية لهذه الكلمة فيما ننسبه لها من موجودات، والواقع أن لا وجود للكلمة نفسها. فالكلمة هي مجرد صيغة عامة لتتابع ثلاثة تمثلات صوتية تتحول إلى علامة عن طريق العادة أو القانون؛ قانون مكتسب مهمته تأهيل المتكلم لتأويل مطابقات هذه الكلم بوصفها دالة على محتوى الإنسان. وتطابق هذه الرؤية تصور **دو سوسير** (F. de Saussure) لمفهوم الرمز، فهو يرى في أية قطعة شطرنجية قاعدة عامة (رمز)؛ حيث تجد هذه القاعدة ما يجسدها إذا ما نحتت من خشب أو عاج (المطابق)، وكذلك تصور كلمة شجرة مثلا، فبوصفه رمزا عاما يجد في الكلمات الآتية : «tree»، «Arbor»، «Arbre» وغيرها مطابقات له[58]. ومن هنا يمكننا أن نعد المترادفات داخل اللسان الواحد بوصفها مطابقات رمزية لتصور عام ومشترك.

فكل كلمة إذا، هي رمز قابل للتطبيق على كل ما يمكنه أن يجد تحقيقا للفكرة المرتبطة بها. إن الرمز لا يتولى بنفسه التعريف بمثل هذه التحققات، فكلمة عصفور مثلا، لا تظهر لنا عصفورا، وكلمة «زواج» لا تعقد أمامنا قرانا، ولكنها بطبيعتها الرمزية تفترض قدرتنا على تخيل هذه التحققات ومن ثم وصلها بتعبيراتها. بيد أن عموم الرمز وانفتاحه على تناقضات التأويل[59]؛ استنفاذا لمعناه التام، لا يعني مطلقا التهور في ادعاء أو إقرار رمزية بعض التمثلات المصطنعة، فالرمز ليس بصناعة خالصة كونه متعلق إما بالتعاقد، أوبالعادة أو بتموضع طبيعي لمؤوله أو لحقل مؤوله. فتوهم بعض التناظرات السطحية بين أمثول وموضوع الرمز، أو سوء تقدير التموضع بمؤوله أو بحقل مؤوله، أو عدم التخطيط لافتراضات القدرة التخيلية التي يحملها؛ كلها أسباب لفشل صناعة الرمز. «إن فعل مضمون الرمز في حد ذاته، هو فعل يمنح الأشياء أبعادا تخرجها من دائرة الوظيفة والاستعمال العادي لتدرجها ضمن سيرورة تدليلية جديدة تحولها إلى رموز دالة على حالات حضارية غالبا ما تتجاوز السقف الثقافي المحلي لتصبح دالة على حالات إنسانية كونية»[60]، ثم إن المعرفة الإنسانية هي معرفة رمزية ومن الضروري على التفكير الرمزي كما يرى **آرنست كاسيرر**[61] (Ernest Cassirer) أن يقيم فاصلا بين الواقع والممكن وبين الحالي والمثالي.إن « الرموز هي التي تضفي الدلالة على حياة الإنسان. وهذا ما نلمسه في الأسطورة والدين واللغة والفن وكافة الأشكال الرمزية»[62].إذ يرتهن النشاط الرمزي للإنسان بالنشاط التأويلي الذي تحركه دواليب المؤولات (الحمل، المقولة ،الحجة) وتنظمه الدلالات المفتوحة.

ليس التأويل« في حاجة إلى من يدافع عنه، فهو معنا في كل لحظة إلا أنه لا يثير اهتمامنا إلا حين يبلغ حدوده القصوى، شأنه في ذلك شأن كل الأنشطة الثقافية »[63]،ويمكن للحمل والمقولة والحجة أن تفعل تحريك العملية التأويلية فتبلغ مداها داخل نظام

العلامات، حيث تأخذ هذه العلامات على عاتقها دور تأطير مجموع تعالقات الأمثول مع الموضوع بالنمطية التأويلية التي تناسب تراتباتها.

تدرك العلامة الحملية بوصفها مؤولا ممثلا للموضوع ضمن خصائصه فقط[64]،إذ يتم ذلك عبر تمثل المؤول الحملي لنوعيات الأمثول باعتبارها تخص قسما كاملا من الموضوعات الممكنة، فهو بأولانيته يظل مستقلا في إقامة علاقة الأمثول مع الموضوع[65]. يقول **بورس** « إن الحمل هو علامة للإمكان النوعي، فهو يتضمن بوصفه أمثولا أي نوع من الموضوعات الممكنة »[66]. إذ لا يمكن للحمل بأية حال من الأحوال أن ينطبق عليه حكم الصدق أو الكذب، فهو بمثابة الحد (في المنطق الكلاسيكي) أو الوظيفة القضوية (في المنطق الحديث)، لذلك تراه نيكول **إيفريت-دسمث** (N. Everaert-Desmedt) مكافئا للمتغير (س) المقترن بكل وظيفة قضوية و(س)، فنقول أن المتغير داخلها محدد بخصوصية لا يجوز الحكم عليها بالصدق ولا بالكذب (ليكن س هوعدد تام). فإذا ما أبدلنا هذا المتغير بثابت فسنحصل إما على قضية صادقة، وإما على قضية كاذبة.

إذا كان س =1، فإن 1 هو عدد تام: (قضية صادقة).

إذا كان س=½ ،فإن ½ هو عدد تام: (قضية خاطئة).

فالحمل إذا، لا يحمل أي قيمة للصدق في ذاته، إنه يشبه البياض أو الفراغ الواجب إملاؤه لتقرير الإجابة عن مسألة محددة، ومن ثم يظل الحمل بوصفه مؤولا مقترنا بالدلالة على الخاصية أو السمة.

ترتبط دلالة العلامة المقولية ضمن وضعها كمؤول بإقامة علاقة واقعية مع الموضوع، كونها لا تعمل فقط على تمثل خصائصه فحسب، بل تتبنى تمثل وجوده الواقعي، لذلك يأخذ المؤول المقولي طبيعة الفعل أوالتجربة التي تقيم رابطا حدثيا بين الأمثول والموضوع. ولا يعني ذلك أنها تثبت شيئا على وجه التحديد، بل تقدم نفسها بوصفها مؤولا قابلا للإثبات، فهي تستعين بالحمل دون غيره، وتقدم فعلها التأويلي ضمن حدود الإشارة والتوجيه.

قد لا تختلف العلامة المقولية عن الجملة لذلك تلفي **راي-دبوف**[67](J. Rey- Debove) أصل اصطلاحها (dicisigne) مأخوذا عن الجذر اللاتيني (dico)؛ الذي يعني القول، فهي وإن جاءت صادقة أو كاذبة تظل على خلاف الحمل، بعيدة عن إمدادنا بسبب صدقها أو كذبها.

تقوم العلامة المقولية بوصفها قضية منطقية على إقامة علاقة بين الموضوع والمحمول؛ علاقة تترجم على صعيد العلامة بتعالق الأمثول مع الموضوع، إذ يرتبط الفهم العملي للعلامة المقولية باعتماد تأملها داخل إطار التعالق الوجودي العام بين القرينة والأيقونة. ينطبق الأمر على وضعية دوارة الرياح في لحظة محددة بوصفها علامة متفردة قرينية مقولية، إذ يتولى المؤول داخلها تحقيق الارتباط الوجودي بين حدثين واقعيين هما: وضعية دوارة الرياح(موضوع، قرينة)، واتجاه الرياح (محمول، أيقونة)[68].بذلك تقبل المعلومة الممنوحة عبر هذه القضية حكم الصدق أو الكذب.

تضمن الحجة داخل العلامة، فهي تمثل الموضوع بخصائصه بوصفه علامة، وتصوغ عبره قانون أو قاعدة ارتباط الأمثول بالموضوع، وهو ما نلفيه في

حجج من قبيل:»كلما كان الضوء أحمر، فإن ذلك يدل على أمر بالتوقف« أو»كلما أدركنا وجود الدخان، فإن ذلك يدل على وجود النار«[69].فهي لا تخلص لنتيجة محددة إلا باتباع سيرورة عقلية متضمنة لسبب صدقها أو كذبها. لاتتوقف دلالة الحجة بوصفها علامة ممثلة داخل مؤولها على وضعها كعلامة لمؤول النتيجة فحسب، فكثيرا ما تأخذ الحجة وضع علامة لحالة الكون الذي تحيل إليه، فتغدو دلالة المقدمتين أمرا بديهيا[70].فهي تقدم بذلك حلا لإشكالية التعالق بين المقدمتين وتصوغ القاعدة التي من شأنها أن تشرح الحدث.

تكون الحجة افتراضية إذا ما تعلق الأمر بقاعدة محتملة، وتكون استقرائية إذا ما صدرت قاعدتها عن الملاحظة المتكررة أواليومية، في حين تكون الحجة استنباطية إذا ما انتظمت القاعدة بنفسها. إن الاختلاف الصوري بين الاستنباط، والاستقراء، والافتراض منوط باختلاف صياغة التوزيع المعتمد للقاعدة، والحالة ،والنتيجة.فالاستنباط يطرح القاعدة على صعيد المقدمة الكبرى، ويحمل حالة خاصة على المقدمة الصغرى، حيث تتضمن الخاتمة نتيجة تطبيق القاعدة العامة على الحالة الخاصة، أما الاستقراء فهو يصوغ القاعدة العامة انطلاقا من الحالة الخاصة والنتيجة، بينما يقوم الافتراض على صياغة الحالة انطلاقا من النتيجة والقاعدة على التوالي.بيد « أن كل حكم هو حكم جزئي. وهناك داخل هذا الكون الذي» تغزوه العلامات«، ما يبرر(وهذا أمر غريب) كون »العلامة تعهد إلى مؤولها مهمة منحها جزءا من مدلولها« »[71].ذلك أن فعل الدلالات المفتوحة هو فعل تمثلي، وإحالي،وتأويلي في الوقت نفسه.

يستحيل الفصل في سيميائيات بورس بين الفكروسكوبيا ومبدأ البروتوكول الرياضي، وإذا كان من الخطأ حسب **جوييل ريتوريه**[72](J. Réthore) اعتبار مخلفات التفريع الثلاثي بوصفها علامات تامة، فلأنها لا تعدو أن تكون مجرد تخصيصات مفترضة للعلاقات الداخلية لمكونات العلامة. وفي مقابل ذلك يستند تحديد أنماط العلامات الثالثانية إلى قراءة تجميعية- عمودية تقود إلى سبعة وعشرين قسما[33] تخضع منها عشرة فقط للتراتب المقولاتي، وهو ما يعني ثبوت فرضية استحالة بعض الارتباطات بالنظر إلى مبدأ التراتب . فكل ثالث يحدد الثالث، والثاني، والأول، أما الثاني فيحدد الثاني والأول، في حين لا يمكن للأول إلا أن يحدد نفسه.

خاتمة :

قد تكون اللسانيات كما يرى دو سوسير أنموذجا عاما للسيميائيات.لكن بأي حق؟ أهي كذلك بنسقية اللسان؟ أم بطبيعته التواصلية والدلالية؟ أم باعتباطية علاماته؟.أولم يـكن دو سوسير مشغولا باستدراج الرموز إلى حضيرة السيميائيات العامة؟. لقد رفع آرنست كاسيرر لواء فلسفة للأشكال الرمزية؛ تقوم على فحص مختلف العمليات الترميزية في اللغة، والدين، والفن، والأسطورة حيث تغدو الثقافة الذهنية سلوكا رامزا مؤطرا بمجاهيل الإحالة السحيقة إلى الموروث الدلالي. إن التصور الرمزي كفيل حسب توقعات جوليا كريستفا بخلخلة المتصورات المقترنة بالاشتغال السيميائي للعلامة.

لقد أضحى سؤال الدلالات المفتوحة يؤرق من شغلوا بقضايا التأويل، فمع غياب حدود واضحة تظل الآليات المتحكمة في دواليب السيرورة السيميائية

تشتغل بصورة متواترة يستحيل من خلالها التعرف على تخوم الدلالات بشكل مسبق، وإذا كان بورس قد راهن على "القبلية" في تصوره للعلامة، فلأنه قد نجح في بلورة مرجعية لمتصوراته السيميائية داخل بوتقة المقولات الفكروسكوبية، وسعى إلى إرساء دعائم النزعة التداولية؛ حيث المفكر فيه سابق عن الفكرة نفسها.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

1 - محمد مفتاح ، المفاهيم معالم ، نحو تأويل واقعي ، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي ،ط:1، 1999..

2 - محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ،اللغة ، الدار البيضاء :دار توبقال ، ط:2، 1998.

3 - آمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،2005.

4 - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، الدار العربية للعلوم،2007.

5 - سعيد بنكراد، الترميز السياسي والهوية البصرية، قراءة في رموز الأحزاب السياسية المغربية، مجلة علامات، العدد 13، 2003.

المراجع الأجنبية:

1 - Tiercelin, C., Ch . S.Peirce et le pragmatisme, Paris : éd. P.U.F., 1993

2 - Everaert-Desmedt, N. , Le processus interprétatif, introduction à la sémiotique de Ch. S. Peirce, Liége : éd. Mardaga, 1990

3 - Peirce, Ch. S. , Textes fondamentaux de sémiotique, trad. et not. B. Fouchier – Axelsen et C. Foz, intro. D. Savan, Paris : éd. Klinckseick, 1987

4 - Peirce, Ch. S. , Ecrits sur le signe, rass. trad. et com. G. Deledalle, Paris : éd. Seuil, 1978

5 - Deledalle, G. , Théorie et pratique du signe, introduction à la sémiotique de Ch. S. Peirce, Paris : éd. Payot, 1979

6 - R. Marty – C. Marty, 99 réponses sur la Sémiotique, 1992

7 - Marty , R. , La sémiotique phanéroscopique de Charles S. peirce , In Langages, n° 58, 1980

8 - Savan, D. , La séméiotique de Charles S. Pierce, Trad. F. Peraldi, in Langages, N° 58, Paris : éd. Larousse, 1980

9 - Eco, U. , La production des signes, Librairie Générale Française, 1992

10 - R. Marty, C. Marty, 99 Réponses sur la sémiotique, 1992

11 - Benoist, L., Signes, symboles et mythes, Paris : éd. P.U.F., 1975

12 - Cassirer, E. , Essais sur l'homme, Trad. Norbert Massa, Paris : éd. Minuit, 1975

الإحالات والهوامش:

1 - ينبغي هاهنا أن نشير إلى إشكالية التعاقب المفاهيمي المتطور انطلاقا من كل حقبة. فقد شكلت الرموز بالنسبة لـ: بورس مجالا أوليا للاهتمام، ثم بدأ مفهوم التمثل (1865–1867) يجد موقعه بوصفه مصطلحا تقنيا دالا على العلامات بوجه عام أين ذهب بورس إلى اعتبار السيميائيات بوصفها ليست أكثر ولا أقل من نظرية للتمثل، وقد مهد هذا التصور بدوره

لبروز التصور الوضعي الذي يقر فيه بورس بمفهوم الفكرة- العلامة (1868)؛ ومن ثم بأن لا قدرة للإنسان على الحدس والتحليل بل حتى على التفكير من دون العلامات، ولم يكن لـ : بورس أن يعي قبل سنة 1880 بأهمية القرينة والأيقونة ليجد مفهوم العلامة عبر هذا الوعي طريقه للخلاص من المفهوم العام للتمثل، ولم يشهد مفهوم العلامة خصوصيته الحقيقية إلا بعد فترة متأخرة (1902-1905)؛ فترة اقترنت بتعريف المنطق بوصفه سيميائيات. ينظر:

Tiercelin, Ch . S.Peirce et le pragmatisme, Paris : éd. P.U.F., 1993, p. 45.

2 - Everaert-Desmedt, N. , Le processus interprétatif, introduction à la sémiotique de Ch. S. Peirce, Liége : éd. Mardaga, 1990, pp. 24 – 25.

3 - Everaert-Desmedt, N. , Le processus interprétatif, introduction à la sémiotique de Ch. S. Peirce, p. 25.

4 –Peirce, Ch. S. , Textes fondamentaux de sémiotique, trad. et not. :B. Fouchier – Axelsen et C. Foz, intro. D. Savan, Paris : éd. Klincksieck, 1987, p. 60.

5 –Peirce, Ch. S. , Ecrits sur le signe, rass. trad. et com. :G. Deledalle, Paris : éd. Seuil, 1978, p. 121.

6 - Deledalle, G. , Théorie et pratique du signe, introduction à la sémiotique de Ch. S. Peirce, Paris : éd. Payot, 1979, p. 66.

7 - Tiercelin, C. , Ch.S. Peirce et le pragmatisme, pp.43-46

8 - Ibid ., p. 49.

9 - محمد مفتاح ، المفاهيم معالم ، نحو تأويل واقعي ، الدار البيضاء- بيروت: المركز الثقافي العربي ،ط.1، 1999، ص.93.

10 - يقترح بورس وصف المقولات الفكروسكويية بثلاثة مصطلحات و هي :«phanéroscopique» ، «Idéoscopique» ، «Cénopythagorique» ، وقد اخترنا هذه الترجمة نسبة للاصطلاح الأول.

11 - R. Marty – C. Marty, 99 réponses sur la Sémiotique, Question n° 41.

12 - R. Marty , La sémiotique phanéroscopique de Charles S. peirce , In Langages, n° 58, 1980, p.32.

13 13 - Deledalle, G. , Théorie et pratique du signe, p 54-55.

14 - Ibid., p. 56.

15 - Deledalle, G. , Théorie et pratique du signe, p .57-64

16 - Ibid.

17 - Evraert – Desmedt, N. , Le processus interprétatif, pp.35-36.

18 - Peirce, Charles S. , Ecrits sur le signe, p. 211.

19 - Ibid. ,p.211.

20 - محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ،اللغة ، الدار البيضاء : دار توبقال ، ط.2، 1998 ، ص.15.

21 - Deledalle, G. , Théorie et pratique du signe, p. 70.

22 - Pierce. Ch. S. . Ecrits sur le signe. pp. 138 – 139.

23 - Evraert - Desmedt. N. . Le processus interprétatif. p. 92.

24 - J. Rethoré et al.. La sémiotique phanéroscopique de Charles S. Pierce. p. 35

25 - Pierce. Ch. S. . Ecrits sur le signe. p 139.

26 - Savan. D. . La séméiotique de Charles S. Pierce. Trad. : F. Peraldi. in Langages. N° 58. Paris : éd. Larousse. 1980. p. 14.

27 - Ibid.

28 - أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص.127.

29 - Everaert - Desmedt. N. . Le processus interprétatif. p. 49.

30 - Savan. D. . La séméiotique de Charles S. Pierce. p. 14.

31 - Deledalle. G. . Commentaire. p.230.

32 - Everaert - Desmedt. N. . Le processus interprétatif. p. 51.

33 - Savan. D. . La séméiotique de Charles S. Pierce. pp. 14 – 15.

34 - Everaert - Desmedt. N. . Le processus interprétatif. p. 51.

35 - Deledalle. G. . Commentaire. pp. 230 - 231.

36 - Pierce. Ch. S. . Ecrits sur le signe. p. 139.

37 - Savan. D. . La séméiotique de Charles S. Pierce. p. 15.

38 - Pierce. Ch. S. . Ecrits sur le signe. p. 31.

39 - Delledale. G. . Commentaire. pp. 232 – 233.

40 - Peirce. Ch. S. . Ecrits sur le signe. p. 140.

41 - Peirce. Ch. S. . Ecrits sur le signe. pp. 149 – 150.

42 - يمكن لهذه الرؤية أن تلطف في غلواء النقد اللاذع الذي رافق مفهوم العلامة الأيقونية عند بورس، وانكب تحديدا على خصيصة المشابهة والمطابقة، ويعد آ. إيكو في هذا المقام رائدا لهذا التوجه. والواقع أن إيكو لم ينتقد خصيصة المطابقة بقدر ما انساق يبحث عن أدق صيغة وأنسبها للأيقونة ضمن مجال الهندسة. ينظر:

Eco. U. . La production des signes. Librairie Générale Française. 1992. pp. 40 – 47.

43 - R. Marty. C. Marty. 99 Réponses sur la sémiotique. Question n° 65. 66 et 67.

44 - هذا البيت لامرئ القيس وصدره" أيقتلني والمشرفي مضاجعي". ديوان امرئ القيس:33، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

45 - أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية،ص.150.

46 - Peirce. Ch. S. . Ecrits sur le signe. p. 144.

47 - Delledale. G. . Commentaire. p. 236.

48 - Peirce. Ch. S. . Ecrits sur le signe. p. 154.

49 - Peirce. Ch. S. . Ecrits sur le signe.. p. 155.

50 - R. Marty. C. Marty. 99 Réponses sur la sémiotique. Q. n° 68.

51 - Eco. U. . La production du signe. pp. 73-74.

52 - Evereart-Desmedt. N. . Le processus interprétatif. p. 64.

53 - Harris. R. . Sémiologie de l'écriture. p. 214.

54 - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، ص.90.

55 - Bougnoux. D. . Les sciences du langage et de la communication. p. 184.

56 - Peirce. Ch. S. . Ecrits sur le signe. p. 140.

57 - Peirce. Ch. S. .Ecrits sur le signe . p. 161.

58 - Delledale. G. . Commentaire. p. 238.

59 - Benoist. L. . Signes. symboles et mythes. Paris : éd. P.U.F.. 1975. pp. 44 - 45

60 60 - سعيد بنكراد، الترميز السياسي والهوية البصرية، قراءة في رموز الأحزاب السياسية المغربية، مجلة علامات، العدد 13، 2003، صص.92-91.

61 - Cassirer. E. . Essais sur l'homme. Trad. Norbert Massa. Paris : éd. Minuit. 1975. p. 86.

62 - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، ص.61.

63 - جاناتان كالر، دفاعا عن التأويل المضاعف، ضمن كتاب،أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية،ص.172.

64 - Rey-Debove. J. . Sémiotique. p.125.

65 - Everaert-Desmdt. N. . Le processus interpretatif . p.69.

66 - Peirce. Ch. S.. Ecrit sur le signe.p.141.

67 -Rey-Debove. J. . Sémiotique. p.48.

68 - Everaert-Desmdt. N. . Le processus interpretatif . pp.75-76.

69 - Everaert-Desmdt. N. . Le processus interpretatif . p.79.

70 - Peirce. S Ch..Ecrit sur le signe.p.33.

71 - أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية،ص.131.

72 - J. Rethoré et al.. La sémiotique phanéroscopique de Charles S. Pierce. p. 36.